

حلاوة حبّ الله



«إذا أردنا أن نختبر أنفسنا في معرفة مدى حبنا لله عز وجل، فثمّة دلائل وإشارات وأسئلة، نتبيّن من خلال طرحها بصراحة والإجابة عنها بصدق على مستوى هذا الحب، ومن ذلك:

1- استمغار الطاعة واستعظام الذنب:

سأل أعرابي الإمام علي (ع) عن درجات المُحبِّين، فقال (ع): "أدنى درجاتهم مَنْ استمغر طاعته واستعظم ذنبه، وهو يظنّ أن ليس في الدارين مأخوذٌ غيره. فغشي على الأعرابي (غاب عن الوعي)، فلمّا أفاق، قال: هل درجة أعلى منها؟ قال: نعم، سبعون درجة!!"

إنّ (استمغار الطاعة) و(استعظام الذنب) كفيّان بإصلاح حال المُحبِّ ورفع درجته عند الله. بل أنّ بعض المُحبِّين يطلبون إلى الله تعالى أن يُنسيهم حسناتهم وأعمالهم الصالحة، حتى لا يشعروا بحالة المنّ، ويسألوه أن يضع سيئاتهم ومنكراتهم دائماً تحت أعينهم حتى يتوبوا ويستغفروا ويستدركوا.

واستمغار الطاعة ليس حالة تواضعيّة فقط، بل إنّ الإنسان المُطيع لو قارن نفسه بأهل الطاعة من الأنبياء والأوصياء والأولياء والعلماء، لرأى أنّ أعماله في قبال أعمالهم قطرات في بحر. كما أنّ استعظام الذنب ليس مبالغة أو تضخيماً للجرم، بل لأنّ المُحبّ الحقيقي لا ينظر إلى حجم الجرم، بل ينظر إلى مَنْ عصى فيستعظم جرمه وجرأته ووقاحته وتعدّيه، وهذا المنحى التربوي يساعد على الارتقاء في درجات الحبّ.

2- عدم اجتماع حُبَّين مُتَنافِضين في القلب:

قال رسول الله (ص): "حُبُّ الدُّنْيَا وَحُبُّ الدِّينِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبٍ أَبَدًا".

هذا أيضاً مجسّ آخر للاختبار، فحُبُّ الدُّنْيَا المُراد منه الاستغراق والانشغال فيها وبها لدرجة نسيان الله والآخرة، والانصراف عن ذكر الله، والابتعاد عن المسؤوليات الشرعية المُتَرَتِّبة بدمّة كلِّ إنسان مكلف، أمّا طلب الدُّنْيَا للآخرة فهو من الآخرة، وقد ميّز المُحبُّون بين الإثنين.

يدخل الإمام علي (ع) على صاحبه (عاصم بن زياد) فيرى سعة داره، فيقول له: ما تفعل بهذه الدّار وأنتَ إلى سعتها في الآخرة أحوج؟ ثمّ يستدرك (ع) فيقول: ونعم، إذا قرّبتَ بها الضَّيفَ، ووصلتَ بها الرحمَ، وأخرجتَ منها الحقوقَ، فقد طلبتَ بها الآخرة.

وجاء رجل إلى الإمام الصادق (ع) وقال له بأنّه يحبُّ الدُّنْيَا، فقال له: كيف؟ فقال: أحبُّ أن يوسّـع الله عليّ فأحجّ وأتصدّق وأصل إخواني وأرحامي، فقال له، هذا ليس طلباً للدُّنْيَا بل هو طلب للآخرة.

فالتناقض بين حبِّ الله وحبِّ الدُّنْيَا هو الناتج عن الحبِّ الدُّنيوي الذي يجرُّ إلى الأخطاء والخطايا والإستكبار والإغترار والتعالي والتفاخر، وإلا فالـمُحبُّون لا يرفعون قوله تعالى: (وَلَا يَدْعُرُ فَيْمَةً آتَاكَ اللَّيْلُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ وَلَا تَنْدُسُ مِنْ دُنْيَاكَ مِنَ الدُّنْيَا) (القصص/ 77)، شعاراً للتوازن في حياتهم.

3- تحبيب الله تعالى إلى خلقه:

أوحى الله تعالى إلى نبيّهِ موسى (ع): "أحببني وحبِّبني إلى خلقي. فقال موسى: يا ربِّ! إنَّكَ لتعلم أنَّه ليس أحدٌ أحبُّ إليّ منك، فكيف لي بقلوب العباد؟ فأوحى الله تعالى إليه: ذكّرهم نِعَمَتي وآلائي، فإنَّهم لا يذكرون مني إلا الخير!"

وأوحى سبحانه إلى نبيّهِ داود (ع): "أحبِّبني وحبِّبني إلى خلقي. قال: يا ربِّ! نعم، أنا أحبُّكَ، فكيف أحبُّبك إلى خلقك؟ قال: اذكر أياديّ ونعمتي عندهم، فإنَّكَ إذا ذكرتَ لهم ذلك أحبُّوني". وأيادي الله: جوده وكرمه وإحسانه وتفضُّله وعفوه وصفحه.

إنَّ مهمّة المُحبِّ مشتركة: (حبّ) + (تحبيب)، لأنَّه يحبُّ لغيره ما يحبُّ لنفسه، فهو يريد للآخرين أن يتذوّقوا حلاوة حبِّ الله، كما تذوّقه هو، أمّا مساحة الجنّة - التي عرضها السماوات والأرض - فتسعهما بل تسع كلّ المُحبِّين، ولو أنَّ أهل الأرض كلّهم جميعاً كانوا من المُحبِّين المُطيعين له، لما كانت هناك أزمة سكن في الجنّة.

4- حبّ الله تعالى على كلّ حال:

في الخبر عن رسول الله (ص): "علامة حبِّ الله تعالى حبّ ذكر الله" لساناً وقلباً وعملاً وفي المواطن والمواقف كلّها: رخائها وشدّتها، ذلك أن من طبيعة المُحبِّ أنَّهُ يحلو له أن يتغنّى باسم محبوبه،

وأن يذكره ويتذكره في كل حين، حتى ليشغل المحبوب أحياناً محبّه فلا يرى الحسن والمحاسن إلا فيه.. وهذا في حُبِّ الإنسان للإنسان، والذين آمنوا أشدَّ حُبّاً.

5- قيام الليل:

فيما أوحى الله تعالى لموسى (ع): "كذبَ مَنْ زعمَ أنَّهُ يحبُّني، فإذا جنَّه الليل نامَ عنِّي، أليس كلُّ مُحبٍّ يحبُّ خلوةَ حبيبهِ؟! ها أنا ذا يا ابنَ عمران مُطَّلِعٌ على أحبَّائي إذا جنَّهم الليلُ حوَّلْتُ أبصارهم من قلوبهم، ومثلتُ عقوبتي بين أعينهم، يُخاطبونني عن المشاهدة، ويُكلِّموني عن الحضور".

الليالي لخلوات المُحبِّين، والليل عند مَنْ أحبَّ الله وأحبَّه الله، أطيَّبُ وأخصبُ أوقات اللِّقاء، لأنَّه أطرَد للرِّياء، وأبعد عن صخب النهار، وأفتح لأسرار القلب، وأرقى في الدرجة.

يقول تعالى مخاطباً حبيبهِ النبي (ص): (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا * إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا وَثَلَاثًا) (المزمل / 6-7).

ليلُ المُحبِّين - ولعلَّكَ جرَّبتَ ذلك في ليالي شهر رمضان وليالي القدر - حافل بفرحة اللِّقاء بما ومناجاته واحتضانه لمحبيه في كل آلامه وآماله.

6- حبُّ النبي (ص) وآله (ع):

الحبُّ - كما سبقت الإشارة - بعضه من بعض، وهو واحد لا يتجزأ حتى وإن بدى حبّاً متفرِّعاً أو متعدداً، يقول خير مَنْ عرفَ الله وأحبَّه النبي (ص): "أحبُّوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبُّوا نبيَّ الله، وأحبُّوا أهل بيته لحُبِّي". ▶